

اسهام الابستومولوجيا في تعليمية علم الاجتماع

أ: مليكة جابر

جامعة قاصدي مرياح ورقلة (الجزائر)

الملخص:

تعتبر الابستومولوجيا من العلوم المعرفية الحديثة النشأة نسبيا، والتي تهتم بنقد المعرفة العلمية بهدف الكشف عن مبادئها وظروف نشأتها، وتفسيراتها للواقع، من حيث الاهتمام بالمفاهيم والآليات المنهجية والنتائج المتوصل إليها في مختلف العلوم. أما التعليمية فهي منحة معرفية ينتمي إلى العلوم التربوية التي تهتم بإخضاع المفاهيم و المعطيات العلمية للمعالجة في ضوء متطلبات التعليم، بهدف تفعيل الاداء البيداغوجي؛ وعليه فالعلاقة بين المفهومين تتجلى من خلال اهتمامهما بالمعرفة العلمية وتطورها ضمن شروط معينة.

الكلمات المفتاحية: الابستومولوجيا - التعليمية - العائق المعرفي - القطيعة

المعرفية

Résumé :

L'épistémologie est l'une des sciences cognitives modernes, qui est préoccupé par la critique de la connaissance scientifique afin de détecter ses principes et les circonstances de sa création, et de son interprétation de la réalité, en termes d'intérêt dans les concepts et les mécanismes méthodologique et les résultats obtenus dans les diverses sciences.

Autant que, la didactique est une connaissance appartient aux sciences de l'éducation concernés avec les concepts soumettent de données scientifiques pour le traitement en conformité avec les exigences de l'éducation, afin d'activer la performance pédagogique, et donc la relation entre les deux concepts se retrouvent travers l'intérêt pour la connaissance scientifique et son développement sous certaines conditions.

Les mots clés : l'épistémologie - Didactique - L'obstacle épistémologique - La rupture épistémologique

مقدمة:

تعد وظيفة التعليم الجامعي أهم وظائف الجامعات وأكثرها فاعلية في إعداد الطلبة للحياة المعيشة ، إذ تزودهم بالمعارف النافعة ، واتجاهات الفعل الاجتماعي الإيجابية و القيمية، والمهارات العلمية والعملية اللازمة لتأهيلهم ليصبحوا أعضاء فاعلين في مجتمعاتهم. فالجامعة .أية جامعة . تتفوق على جامعات أخرى عندما يتواجد فيها أعضاء تعليم مؤهلين تأهيلاً عالياً، ومدعومين بموارد مادية كافية، وجو أكاديمي ملائم، وخدمات مناسبة، مما يسهم في تجويد العملية التعليمية وإنجاحها لتكون قادرة على تلبية حاجات التنمية الشاملة ومتطلبات المجتمع المتسارعة.

كما تعد وظيفة التعليم الجامعي أيضاً غاية في الأهمية، لأنها الوظيفة الرئيسة في أغلب الجامعات المرموقة في العالم، إذ تنصب أساساً على إعداد الطالب الجامعي إعداداً يمكنه من مواجهة تحديات المستقبل بكل ما تحمله من تطورات علمية وتقنية وتنظيمية وثقافية ، وغيرها ، إذ يجب أن يتوجه التدريس إلى التعرف على مواهب كل فرد ، وطاقاته الكامنة ، وتنمية شخصيته بما يتوافق مع قدراته وميوله حتى يتمكن من تحسين مستوى معيشته وتطوير مجتمعه، ويلعب عضو هيئة التدريس دوراً رائداً في إعداد مخرجات التعليم الجامعي ، وتأهيلها بما يتناسب مع حاجات العصر إذا كان مُعداً لمهنته ومخلصاً في عمله .

لكن هذا الاستاذ قد تعترضه عدة صعوبات أثناء ادائه لهذه المهمة بعضها يتعلق بظروف أداءه لعمله أخرى تتعلق بطبيعة العلم الذي يدرسه، و هو ما يعرف بالمعوقات الابدستولوجية، خاصة في مجال العلوم الاجتماعية- وعلم الاجتماع كأحد هذه العلوم- التي تكتسي نظراً لطبيعة موضوعاتها الكثير من الصعوبات والمعوقات، وهذا ما تهدف هذه الدراسة للكشف عنه من خلال محاولة الكشف عن طبيعة اسهام الابدستولوجيا في تعليمية علم الاجتماع.

أولاً: الإشكالية:

يحتاج الأستاذ الجامعي كناقل transmetteur وناشر للمعرفة إلى كفاءة في البيداغوجيا والتعليمية، حتى يتمكن من تزويد الطلبة بالقدرة على استيعاب المادة، والتحكم الجيد في محتوى المادة الدراسية ومن اجل ذلك، ليتمكن من تحقيق هذه الأهداف يتعين عليه الاطلاع على جملة من العلوم والفنون كالبيداغوجيا Pédagogie، والتعليمية Didactique، وعلم النفس البيداغوجي La psychopédagogie وغيرها من

العلوم التي تتناول طرائق التدريس، وسبل التعامل داخل الفصل بوصفة جماعة اجتماعية، فتهتم التعليمية كواحد من هذه العلوم التي تعتبر أساسا للدراسات المهمة بقضايا تبليغ المعرفة، وتفسير عدم اكتساب مختلف المعارف والقدرات لدى المتعلمين. وتكتسي العلوم الاجتماعية في هذا المجال، خصوصية نظرا لتعقد موضوعها، واهتمامها بالإنسان وعلاقته بغيره من النواحي الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية... وبالتالي تتعدد الطرائق والأساليب التكوينية المعتمدة فيها، وعلم الاجتماع كواحد من هذه العلوم، يفترض فيه أن يقدم إسهاما جوهريا لتحديد الأهداف العليا للمجتمع، ويرسم استراتيجيات بلوغها، انطلاقا من كونه يدرس مختلف الظواهر الاجتماعية التي تحدث في المجتمع، لكن هذا العلم يعاني في الجزائر اليوم، أزمة¹ متعددة الجوانب، مختلفة الأبعاد، تبدأ مظاهرها من مشروعية العلم في حد ذاته، ومبررات وجوده، وحتى أهميته، وما يمكن أن يقدمه للمجتمع.

وترجع هذه الأزمة في بعض جوانبها إلى الصعوبات التي تواجه الأستاذ في تعليم علم الاجتماع بصفته باحث وناقل للمعرفة منذ بداية تواصله مع المتعلمين، وتستمر طيلة مراحل تدريسه، ولعل أولى هذه العقبات نشأته وتشعب مجالاته التي تشابكت وتداخلت مع العلوم الاجتماعية الأخرى، يضاف إليها ما أطلق عليه بيرورديو P.Bordieu علم الاجتماع العفوي الذي يعطي فيه الأفراد تعليقات عفوية، كما تعود هذه العقبات إلى أصول العلم ومراحل نشأته، ومضامينه، التي تعد مجال دراسة الإيستومولوجيا تتيح التكيف الواعي لمحتويات ومضامين المادة العلمية للمتعلمين، Savoir-Savant وفق المتطلبات التربوية و البيداغوجية وهنا تكمن أهمية الإيستومولوجيا، إلا أن هذا الحقل المعرفي (الإيستومولوجيا) لم ينل الكثير من الاهتمام من قبل الباحثين لاسيما فيما يتعلق بتطوير طرائق التعليم، ولم تتم الاستفادة العملية منه في مجال العملية التعليمية و البيداغوجية.

لذلك فمن الأهمية أن تدرج مثل هذه الدراسات العلمية لتبين ما هو سوسيولوجي يخضع للممارسة الابستمولوجية، ويمكن أن يساهم في تعليمية علم الاجتماع في الجامعات الجزائرية، فجاءت هذه الدراسة محاولة لمعرفة منظور أساتذة علم الاجتماع ببعض بالجامعات الجزائرية، لاستشراف إسهامات الإيستومولوجيا في تعليمية علم الاجتماع.

ثانيا: ماهية الإبستمولوجيا

1- تعريف الإبستمولوجيا:

إن كلمة épistémologie تعني حرفيا théorie de la science (نظرية العلم)، يرجع ظهورها في المعاجم الفرنسية إلى المعجم la rousse illustré لسنة 1906² فالإبستمولوجيا (épistémologie)، مصطلح صيغ من كلمتين يونانيتين: * الإبستمي (épistémé)، ومعناها: علم (وهو موضوع الإبستمولوجيا). * اللوغوس (logos)، ومن معانيها: علم، نقد، نظرية، دراسة، ويدل على المنهج. فالإبستمولوجيا، إذا، من حيث الاشتقاق اللغوي هي " علم العلوم "، ويعني هذا العلم المعرفة³.

ويعرفها أندري لالاند: "André laland" على أنها الدراسة النقدية للمبادئ، والنتائج الخاصة بالعلوم، تهدف لمعرفة أصولها المنطقية، قيمها و ثقلها الموضوعي⁴، فهي إذن " عبارة عن المبحث الذي يعالج معالجة نقدية مبادئ العلوم المختلفة وفروعها ونتائجها، بهدف إرساء أساسها المنطقي، كما أنه يشهد تجديد قيمة العلوم، ودرجة موضوعيتها...."⁵

ومن التعريفات السابقة نستنتج أن الإبستمولوجيا تتخذ من المعرفة العلمية موضوعا لها، بهدف الكشف عن مبادئها، ونشأتها ومقارباتها وتفسيراتها للواقع، بالخوض في تاريخها ومراحل تطورها مع الكشف عن فترات تقهقرها وأسباب هذا التقهقر بهدف الفحص الناقد لتشكيل مفاهيم العلم وتطور دلالاتها ضمن مقارنة نقدية.

2- طبيعة البحث الإبستمولوجي:

يعتبر العلم بمثابة العلاقة بين الذات والموضوع، و الإبستمولوجيا هي العلم الذي يهتم بدراسة هذه العلاقة، فهذا التأثير المتبادل يجعل هذه العلاقة تتطور وتنمو مع نمو ووعي الإنسان من خلال نشاطاته المختلفة، وفي مقدمتها النشاط العلمي، ومن هنا يتبين لنا أن الإبستمولوجيا ترتبط بنظرية المعرفة وتاريخ العلوم و بالميتودولوجيا، لأنها تتناول مناهج العلوم وتدرس طرق اكتساب المعرفة وطبيعتها وحدودها، من زاوية فحص المعرفة العلمية والتفكير العلمي، فحسا علميا ونقديا يقوم على الاستقراء والاستنتاج معا.⁶

فالإبستمولوجيا إذن تدرس وعي الإنسان بالعالم، المؤسس على أكبر قدر ممكن من الموضوعية، أما بخصوص البحث الإبستمولوجي فهو لا يمكن أن يصبح

علميا إلا إذا تحرر من الجذور الفلسفية وارتكز على المنهج العلمي الذي يقوم على الاختبار والتحقيق، الأمر الذي يمكنها من الاندماج في العلم والتحلي بخصائصه ومميزاته.

3- علاقة الإستمولوجيا بالعلوم المعرفية:

يتداخل موضوع الإستمولوجيا كفرع مهتم بقضايا العلم مع العديد من العلوم المعرفية التي تتخذ من العلم والمعرفة موضوعا لها ما يجعلها تتقاطع معها كنظرية المعرفة وفلسفة العلوم والميثودولوجيا.

أ- علاقة الإستمولوجيا بنظرية المعرفة:

تهتم نظرية المعرفة بتحليل طبيعة المعرفة وارتباطها بالترميزات والمصطلحات مثل الحقيقة، الاعتقاد، والتعليل التبرير... وغيرها كما تدرس نظرية المعرفة أيضا وسائل إنتاج المعرفة، كما تهتم بالشكوك حول ادعاءات المعرفة المختلفة. بكلمات أخرى تحاول نظرية المعرفة أن تجيب عن الأسئلة: "ماهي المعرفة؟" "كيف يتم الحصول على المعرفة؟". ومع ان طرق الإجابة عن هذه الأسئلة يتم باستخدام نظريات مترابطة فإنه يمكن عمليا فحص كل من هذه النظريات على حدة⁷.

و يرى أغلب العلماء المعاصرين ضرورة التمييز بين الإستمولوجيا ونظرية المعرفة استنادا الى أن الإستمولوجيا تهتم بنظرية المعرفة العلمية، في حين تتناول نظرية المعرفة كل أنواع المعارف. وعند التمييز بين هذين المفهومين نجد ثلاثة اتجاهات أساسية:

الاتجاه الأول: يعتمد الفلاسفة الناطقون باللغة الإنجليزية والذين يستخدمون اللفظين بالمعنى نفسه ولم يقيموا أية تفرقة بين الميدانيين، فنجدهم يعرفون الأستمولوجيا أو نظرية المعرفة بأنه ذلك الفرع من فروع الفلسفة الذي ينصرف الى دراسة طبيعة المعرفة وحدودها وبالتالي يستخدم اللفظان للدلالة على المفهوم نفسه⁸.

أما الاتجاه الثاني: فيمثل موقف الإستمولوجيين الفلاسفة الذين يقرون بين مفهومي الإستمولوجيا ونظرية المعرفة فالعلاقة بينها حسب هؤلاء هي علاقة الجنس بالنوع، لأن الإستمولوجيا تبحث في صورة خاصة من صور المعرفة وهي المعرفة العلمية حيث أن الإستمولوجيا تقتصر على شكل وحيد من أشكال المعرفة، وهو المعرفة العلمية⁹. وعلى الرغم من ذلك فإن التمييز سرعان ما يمحي عندما تُرجع النوع إلى هذا الجنس وحده، كما هي الحال لدى المؤلفين الذين يطلقون تعبير المعرفة على

المعرفة العلمية وحدها ويرون أن كل ما عدا ذلك لعب لفظي خال من أي مدى معرفي. وذلك ما كان عليه، مثلاً، موقف الوضعيين- المحدثين ، وأيضاً موقف الاختبارية المنطقية التي جاءت في أعقابهم. في حين الاتجاه الثالث: فيمثلته الفلاسفة المنتمون إلى الوضعية المنطقية و الذين يرفضون أن تكون هناك أية علاقة بين الاستمولوجيا ونظرية المعرفة، حيث تخول عندهم جنس المعرفة كله إلى نوع واحد فقط هو المعرفة العلمية، فلا يعترفون بأية نظرية في المعرفة لا تكون تحليلاً منطقياً لقضايا العلم، رافضين¹⁰ في الوقت ذاته أن تكون هناك أية علاقة بين الاستمولوجيا و نظرية المعرفة¹¹ .

بناء على ما سبق فالعلاقة بين نظرية المعرفة ونظرية العلم من أكثر العلاقات التي عرفت جدالاً بين العلماء والفلاسفة نظراً لتقارب المصطلحين لغوياً من جهة، ولكون العلماء يعتبرون أن أية معرفة في الوقت الراهن هي معرفة علمية (على اعتبار أن باقي أنواع المعارف الأخرى هي معارف سابقة عن المعرفة العلمية) و أن أية دراسة في نظرية المعرفة هي بالتالي دراسة في نظرية العلم.

ب- علاقة الإستمولوجيا بفلسفة العلوم:

فلسفة العلوم أحد فروع الفلسفة الذي يهتم بدراسة الأسس الفلسفية والافتراضات والمضامين الموجودة ضمن العلوم المختلفة، بما فيها العلوم الطبيعية مثل الفيزياء والرياضيات و البيولوجيا، والعلوم الاجتماعية مثل علم النفس وعلم الاجتماع والعلوم السياسية. بهذا المفهوم تكون فلسفة العلوم وثيقة الصلة بالإستمولوجيا يرى بلانتييه أن من شأن التمييز الدقيق أن يزداد عسراً بين الإستمولوجيا وفلسفة العلوم، وذلك من جراء مرونة هذه العبارة الأخيرة، فثمة من يعترض على السمة الفلسفية للمبحث الاستمولوجي ويرى أن المهمة لأولى للإستمولوجيا تمثل في تعيين معيار قبلي لكل معرفة علمية¹².

فإذا نظرنا إلى فلسفة العلوم بالمعنى الأوسع وجدنا أن الإستمولوجيا فصلاً من فصولها، أو طرازاً من طرز ممارستها. وعلى هذا النحو صاحبنا كتاب "قراءات في فلسفة العلوم" بتمييز أربع وجوه مختلفة لفلسفة العلم¹³ :

· دراسة علاقاته بالعالم وبالمجتمع.

· السعي لوضع العلم داخل مجموعة القيم الإنسانية.

· المحاولات الفكرية التي تنطلق من نتائج العلم وتجاوزها لبلوغ ما يمكن تسميته فلسفة الطبيعة.

التحليل المنطقي للغة العلم.

وقد أعلن "فايغل و برويك" أنهما يتمسكان بهذه الدلالة الأخيرة؛ وهي وحدها التي يمكن أن تتسق مع ما تشير إليه كلمة الإستمولوجيا .

ويمضي بعض الاستمولوجيين إلى أبعد فيقطعون الجسور بين المفهومين، وكأنهم يسعون إلى صون الإستمولوجيا، كمصطلح جديد من الفلسفة، الأمر الذي يُقارب بين المفهوم والعلم بمسعىً للابتعاد غير المبرر عن الفلسفة ، وهذا ما يجعل بالانشيه يلاحظ أنهم يتحاشون استعمال هذه الكلمة الأخيرة، و هو ما يميل إليه أولئك الذين لا يعترفون بأي شكل للمعرفة سوى الشكل العلمي وينفون بذلك كل فلسفة لا تتحل إلى تحليل العلم، شريطة أن يكون هذا التحليل ذاته بحسب طرائق علمية¹⁴. وهذا الموقف لا ينطلق دائماً من اتخاذ موقف مضاد للفلسفة، إذ أن الإستمولوجيا باتت تقلت أكثر فأكثر من قبضة الفلاسفة، وتنتقل إلى العلماء أنفسهم، وهذا سمة من سمات الإستمولوجيا المعاصرة الماثلة في اضطلاع العلماء المختصين بالمشكلات الاستمولوجية بالتدرج، وذلك ليس نتيجة وضع عابر، بل لأن الأزمات الحديثة التي زعزت مختلف العلوم والثورات التي لزم عليها التعامل معها، قد أرغمت أولئك الذين يمارسونها على العودة إلى مبادئها، والتساؤل عن جوهرها¹⁵فقول(برنشفيك) إن ضرور تقدم العلوم ليست نحو الأمام دوماً، بل إنها قد تكون انعكاسية هو الذي جعل (ج. فراي) يميز ضرور التقدم الخطية عن ضرور التقدم الدائرية، وهو الذي جعل باشارل يتحدث عن القطيعة الاستمولوجية باعتبارها المضمون الذي يقف وراء عدم جعل تاريخ العلم تاريخ تقدم خطي بل هو تاريخ الزمن العمودي أو تاريخ المنفصل أيضاً في العلم. غير أن الإستمولوجيا قد تحولت إلى مبحث من مباحث الفلسفة على مستوى الدراسات الأكاديمية في الإستمولوجيا.

فالإستمولوجيا ليست من صنع العلماء، وهي لا تخاطبهم إلا عَرَضاً. ومن شأن الفلسفة أن تعنى عناية عفوية بفلسفة علوم، بهدف إيضاح سبل المعرفة العلمية وتحديد الموضوعات التي تتناولها وتبيان صحتها، أي تبيان أساسها في مضمون الحقيقة، ولكن مسار هذه المعرفة الفلسفية يمر بمعرفة العلماء؛ فالمعرفة العلمية، هي معرفة متحررة من الحس ومتصلة بألية البرهان ، لكنها عاجزة عن البرهان على حقيقة براهينها الخاصة، وعاجزة عن العثور في ذاتها على أساس مقالها.¹⁶ ولذا يترتب على الفيلسوف أن يعترف في وقت من الأوقات بتخطي صعيد العلم ليكتشف في مكان آخر، ما ينطوي

على شروط حقيقته الخاصة. وهنا نلمس إفادة الفلسفة من فلسفة العلوم: إنها لا تجد في المعرفة العلمية موضوع المعرفة وحسب، بل تجد كذلك ما يميز خصوصيتها.

ج- علاقة الإبستمولوجيا بعلم المناهج:

الميثودولوجيا اشتقاقاً تأتي من (Méthode) وهي مُشتقة من (Méthodos) اليونانية ومعناها الطريق إلى أو -لاحقاً- المنهج المؤدي إلى ... ، وبعد تطور الكلمة باتت تدل على مجموعة العمليات العقلية والعملية الممارسة التي يقوم بها العالم من بدء بحثه إلى نهايته من أجل الكشف عن حقيقة أمر أو واقع ما والبرهان على الفرضيات الموضوعة للوصول إليه.

ويعتبر علم المناهج (Methodologie) جزءاً من المنطق، فهو الدراسة الوصفية لمناهج البحث المعتمدة في شتى العلوم، بينما الإبستمولوجيا هي دراسة نقدية تبحث فضلاً عن المناهج في الأسس و النتائج¹⁷ كما يرى لالاند في موسوعته الفلسفية يرى " روبر بلانشيه" بأن هذه التفرقة التي قام بها "لالاند" بين الإبستمولوجيا وعلم المناهج هي تفرقة تخص القرن التاسع عشر حيث كانت الميثودولوجيا جزءاً من المنطق، ويضيف بأنه لا يمكن للإبستمولوجيا أن تبحث في مبادئ العلوم وقيمتها و بعدها الموضوعي دون التساؤل حول قيمة وطبيعة المناهج المستخدمة¹⁸

وعليه يمكن الاستخلاص بأنه لا يمكن الفصل بين المفهومين فكما يرى مجموعة من العلماء ومنهم "بياجيه" أن " التفكير الإبستمولوجي يبدأ عندما تكون هناك أزمات في العلوم"¹⁹ وهو بذلك يشدد على التكامل بين العلمين، فالإبستمولوجي لا يمكن أن يستغني في دراسته النقدية عن دراسة مناهج العلوم، لأن دراسة المناهج العلمية مهمة في بيان مراحل عملية الكشف العلمي التي تعتبر من المجالات الأساسية للدراسة الإبستمولوجية.

إن فالعلاقة بين الإبستمولوجيا و علم المناهج تتمثل في أن علم المناهج يقدم الدراسة الوصفية المستخدمة في تحصيل المعارف العلمية ثم تتعدى الإبستمولوجيا ذلك إلى الدراسة النقدية الرامية لاستخلاص المبادئ التي ينطوي عليها التفكير العلمي²⁰ وكخلاصة يمكن القول أنه لا يمكن الفصل فصلاً تاماً بين علم المناهج و نظرية المعرفة العلمية فمن الصعب أن يدرس الإبستمولوجي مبادئ وقوانين أي علم من العلوم دراسة نقدية دون أن يتساءل حول طبيعة وقيمة الوسائل التي تستخدمها هذه العلوم للوصول إلى النتائج و القوانين

ثالثا: التعليمية، المفهوم والعناصر

1- تعريف التعليمية:

يستعمل المصطلح تعليمية في مقابل الكلمة الاجنبية Didactique وهناك من العلماء من يعرفها بأنها جزء من البيداغوجيا يهتم بطرق التدريس، وهي مشتقة من الكلمة الاغريقية Didaktikus التي تعني "فلنتعلم"²¹ و هناك من يعرفها بأنها المنحى العلمي الذي يسعى إلى دراسة أساليب وطرق التدريس ونقل المعرفة في العلوم المختلفة²² كما تعرف بأنها الدراسة العلمية لطرق التدريس وتقنياته، ولأشكال تنظيم مواقف التعليم التي يخضع لها المتعلم، قصد بلوغ الأهداف المنشودة سواء على المستوى العقلي أو المعرفي أو الانفعالي الوجداني أو الحس حركي المهاري كما تتضمن البحث في المسائل التي يطرحها تعليم مختلف المواد²³ وعموما يمكن القول بأن التعليمية هي " العلم الذي يتناول بالدراسة الظواهر المتعلقة بالتدريس، وطرق نقل المعرفة وتلقينها للمتعلم، من خلال تركيزها على طرق التدريس وتكوين المكونين التي لا تنفصل عن عملية تكوين المكونين²⁴ فالتعليمية إذن تهتم بعملية "إخضاع المفاهيم والمعطيات العلمية للمعالجة والتحويل والتعديل في ضوء متطلبات التعليم أي طبيعة جمهور المتعلمين وطموحات المجتمع...بهدف تفعيل الأداء البيداغوجي وانتقاء أنسب السبل لتبليغ المحتوى التعليمي الموجه للتلقين"²⁵ وهنا لابد من التفريق بين التعليمية والبيداغوجيا، وفي هذا الإطار وضعت الكثير من المحاولات، ومن هذه الآراء:

البيداغوجيا علم يعنى بدراسة الظواهر التربوية التي تحصل داخل الغرف الصفية وخارجها، دراسة علمية تعتمد على الوصف والتحليل والتشخيص والتجريب بهدف تزويد المعلمين بالحقائق التي تساعد على فهم بعض الظواهر التربوية، ومن ثمة إمكانية التحكم في مختلف المواقف التعليمية.

و يمكن تعريف البيداغوجيا من الناحية التطبيقية على أنها " تجميع لجملة من الأساليب التقنية التي تهدف إلى وضع معايير لمراقبة إجراءات عملية نقل المعرفة"²⁶ وتنقسم إلى قسمين هما:

أ- **بيداغوجيا عامة:** وهي لفظ ينطبق على كل ما له ارتباط بالعلاقة بين المدرس والتلميذ بغرض تعليم أو تربية التلميذ.

ب- **بيداغوجيا خاصة:** وتعتبر عن طريقة التعلم حسب المادة المدرسة. وبالرغم من اختلاف التعاريف التي أطلقت على لفظ البيداغوجيا إلا أنها تجمع على أنها:

- حقل معرفي يرتكز على التفكير الفلسفي والسيكولوجي يهدف إلى تحديد غايات وتوجهات الأفعال والأنشطة التي تمارس في وضعية التربية والتعليم على الطفل والراشد

- نشاط عملي يتكون من مجموع الممارسات والأفعال التي ينجزها كل من المعلم والمتعلمين داخل الفصل ومن خلال هاتين النقطتين نستخلص أن للبيداغوجيا شقين أحدهما نظري والثاني تطبيقي فالبيداغوجيا إذن تركز على العلاقة بين المعلم والمتعلم، بينما تركز التعليمية على المعارف أي تحليل هذه المعارف ونقدها وتحليلها وتكييفها وفق متطلبات المتعلمين²⁷، فالتعليمية طابع إستمولوجي بحيث تركز على المضامين والمحتويات التعليمية المراد تبليغها للمتعلمين، وهي في هذا المنحى تتلاقى مع العديد من العلوم الاجتماعية ذات العلاقة بالتعليم كعلم النفس المعرفي، وعلم النفس البيداغوجي وعلم الاجتماع التربوي...²⁸

و إذا ما أردنا تلخيص وجهات النظر المختلفة حول تعريف التعليمية، فيمكننا الاعتماد على المقاربة التي قدمها "غانيون" GAGNON.J.C " لمفهوم التعليمية من حيث تحديد عناصرها المكونة وتوضيح منهجها فالتعليمية حسبته تشمل:

- التأمل والتفكير في طبيعة المادة الدراسية، وطرق وغايات تعليمها
- صياغة فرضياتها الخاصة التي تنطلق من المعطيات المتجددة للعلوم التربوية الأخرى كعلم النفس و البيداغوجيا وعلم الاجتماع...

- دراسة نظرية وتطبيقية للفعل البيداغوجي المتعلق بتدريس تلك المادة²⁹ ومما سبق لا ينحصر مجال التعليمية في الاهتمام بالمادة الدراسية فقط، ولا بالمدرس وحده، ولا بالطريقة التعليمية بحد ذاتها كما لا تهتم بالذات العارفة المنعزلة (المتعلم) ولا بالظروف التعليمية و الاجتماعية، وإنما مجال اهتمامها يقع ضمن العناصر السابقة كلها مجتمعة.

وبمعنى أدق فالتعليمية هي الدراسة العلمية لمحتويات التدريس وطرائقه وتقنياته، ولأشكال تنظيم مواقف التعلم التي يخضع لها المتعلم، وتهدف هذه الدراسة إلى صياغة نظريات ونماذج تطبيقية تمكن من تحقيق الأهداف المرجوة سواء على المستوى العقلي أو الوجداني أو الحس الحركي³⁰ أي أنها تجيب على الأسئلة التالية:

- ماذا ندرس؟ أي المحتويات الدراسية
- كيف ندرس؟ أي طرق التدريس وتقنياته
- متى ندرس؟ أي المواقف التربوية.

2- أهمية التعليم في العلوم الاجتماعية:

تمثل التعليمية LA DIDACTIQUE أحد العلوم الأساسية التي تهتم بقضايا تبليغ المعرفة وتفسير مدى اكتساب مختلف المعارف من قبل المتعلمين وقدراتهم، كما أنها تمثل النواة المعرفية Le noyau cognitif لمجمل الدراسات والعلوم التي تهتم بقضايا التعليم كالبيداغوجيا وعلوم التربية ونظرية المعرفة وعلم النفس وفلسفة العلوم وتاريخ العلوم والابستمولوجيا، هذه العلوم التي تهتم بإخضاع المفاهيم والمحتويات التعليمية للمعالجة والنقد في ضوء متطلبات التعليم (طبيعة جمهور المتعلمين وطموحات المجتمع...) من أجل تفعيل العملية التعليمية.

و تكتسي العلوم الاجتماعية خصوصية في هذا المجال نظرا لتعدد موضوعها، واهتمامها بالإنسان وعلاقته بغيره من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية... وبالتالي تتعدد المداخل المعرفية والطرق والأساليب التكوينية المعتمدة فيها. و هو مجال التعليمية من حيث تكيف المضامين البيداغوجية، والطرق التعليمية وفق متطلبات واحتياجات المتعلمين ووفق خصوصية هذه العلوم من أجل تجاوز مختلف الاشكالات المرتبطة بها.

ثالثا: العلاقة بين الإبستمولوجيا والتعليمية:

من خلال التعريف بمفهومي الإبستمولوجيا والتعليمية نستخلص أن هذين المفهومين يتفقان في نقطة جوهرية وهي اهتمامهما بالمعرفة العلمية، فالأبستمولوجيا تدرس العلم من حيث نشأته ومبادئه ومشروعيته بينما تدرس التعليمية الأساليب والطرق التعليمية لتبليغ مختلف العلوم للمتعلمين.

ويمكن تحديد مساهمة الإستمولوجيا كأداة للبحث التعليمي في العلوم الاجتماعية في ثلاث نقاط أساسية³¹ كما يلي:

1- **تطور دلالات المفاهيم:** نظرا للتقاطع الموجود بين الإستمولوجيا وتاريخ العلوم يمكن أن تسهم الإستمولوجيا من خلال المقاربة التاريخية في مساعدة المتلقي (المتعلم) خلفية مهمة حول تشكل وتطور دلالات المفاهيم فهي تلقي الضوء على السياق العام لمختلف الإضافات العلمية والظروف التي ظهرت فيها هذه الإضافات³²

2- **الإستمولوجيا والنقل التعليمي:** تكشف الإستمولوجيا عن الفرق بين المعرفة العلمية والمعرفة غير العلمية والقواعد التي ترتبط بالموضوعية أي الفصل بين الذات العارفة والمعرفة الجاري تعليمها، وتوضح أيضا تأثير مختلف الفاعلين في العملية المعرفية، هذا بالإضافة إلى المعرفة السابقة للطالب والتي تعتبر في كثير من الأحيان عائقا معرفيا أمامه لتحصيل المعرفة وفي تطوير اتجاهات التعلم لديه³³ ذلك أن التصورات الزائفة عن المعرفة تؤثر سلبا في مجال المعرفة العلمية وخاصة حين تضع حدود للعلم.

3- **العوائق الإستمولوجية والعوائق التعليمية:** ويعد هذا الإسهام الأساسي للإستمولوجيا في تعليمية العلوم الاجتماعية خاصة لما تكسيه هذه العلوم من خصوصية في هذا المجال نظرا لتعدد موضوعها واهتمامها بالإنسان فيجد الدارس لها صعوبة في الفصل بين موضوع المعرفة (الظاهرة المدروسة) والذات العارفة (الباحث أو المتلقي للمعرفة)، ويمكن أن تقدم الإستمولوجيا إسهاما مهما في التعرف على هذه العقبات من جهة ومحاولة تجاوزها من جهة أخرى وبالتالي المساعدة في تحقيق الأهداف التعليمية.

- **العائق المعرفي:** يطرح غاستون باشلار "Gaston Bachelard" قضية المعرفة العلمية من منطلق العقبات المعرفية (Les obstacles épistémologiques) "فعندما نبحت مسألة المعرفة العلمية والشروط النفسية لتقدم العلوم سرعان ما نتوصل إلى الاقتناع بأنه ينبغي طرح المسألة من منطلق العقبات الإستمولوجية"³⁴ فحسب باشلار هناك ارتباط وثيق بين هذه العوائق وفعل المعرفة الذي تمارسه الذات، إنها ذات طابع داخلي و من " مميزاتها " أنها تحول دون بلوغ هذه الذات إلى المعرفة الحقيقية. باختصار إنها عوائق داخلية من شأن تحديدها أن يعين على فهم فترات العقم و التوقف و الاجترار التي تطبع المعرفة العلمية في لحظة ما من لحظات تطورها.

أما من حيث أهمية التطرق لمفهوم العائق الإستمولوجي، فيفيدنا باشلار نفسه بأن هذا المفهوم " يمكن أن تتم دراسته في إطار التطور التاريخي للتفكير العلمي و في سياق الممارسة التربوية أيضا ... لأن كل ما نصادفه في تاريخ الفكر العلمي هو بعيد عن أن يكون في الخدمة الفعلية لتطور هذا الفكر"³⁵.

العوائق الإستمولوجية هي إذا عوائق " نفسية " داخلية نجدها لدى العلماء أو لدى المتعلمين و تلعب تقريبا نفس الأدوار المعيقة لتطور و بناء معارف جديدة. و قد حاول باشلار أن يحدد العوائق الإستمولوجية وفق أنماط معينة منها على الخصوص.

ويستنتج باشلار من خلال قراءته للمعرفة العلمية عددا من **العوائق**

الإستمولوجية:

- **العائق الأول: التجربة الأولى، التجربة الأولى** التي تمت في ظروف متقدمة زمانيا مما يفقدها النقد الناتج من التراكم المعرفي. إنها العائق الأول وإن لم يتجاوز وينقد ويكشف خطأه الأكيد فإنه سيبقى عقبة في وجه التطور العلمي.³⁶
- **العائق الثاني: عائق المعرفة العامة:** يقول باشلار " إنه ما من شيء عمل على كبح تطور المعرفة العلمية كما فعل المذهب الخاطئ للتعميم الذي ساد من أرسطو إلى بيكون ، والذي ما يزال بالنسبة لعقول كثيرة المذهب الأساس للمعرفة ".
- **العائق الثالث: العائق اللفظي،** ويعني أن هناك ألفاظ تتمدد أثناء استخدامها فتصبح تدل على أشياء خارج دلالتها الأصلية مما يجعل من استخدامها مشوشا ومبهما إلى حد كبير. ويعطي هنا باشلار مثلا بلفظة الاسفنجة التي يمكن أن تستخدم للتعبير عن كثير من الظواهر³⁷
- **العائق الرابع: هو العائق الجوهري.** أي فكرة الجوهري التي تسببت في ضياع جهود العلماء لعصور طويلة بحثا عن جواهر الأشياء بدلا من ظواهرها.
- **العائق الخامس: العائق الإحيائي** ويعني به إدخال بعض العلوم في مجالات غير مجالاتها التي تعمل فيها خصوصا إدخال الأحياء (البيولوجيا) في علم الكيمياء والفيزياء³⁸.

وفي مجال العلوم الاجتماعية يجد الأستاذ إشكاليات أخرى متعلقة بمشروعية *Légitimité* هذه العلوم في حد ذاتها منذ الوهلة الأولى لاتصاله مع المتعلمين، بل وقد تستمر هذه الإشكالية مع الأساندة طيلة مراحل التدريس وذلك نتيجة وقوفه أمام عقبات أخرى كتأثير النزعة الإصلاحية وتغليب الذاتية على الموضوعية و الاعتماد على

التفسيرات الإيديولوجية حيث تصبح الإيديولوجيا وسيطا بين الذات العارفة وموضوع المعرفة إضافة إلى الالتباس الحاصل لدى المشتغلين بهذه العلوم بين مختلف التخصصات الاجتماعية، واتسام تحليلات هؤلاء بالعمومية والسطحية وهو ما يحد من علمية تشخيص الظواهر وتحليلها، وعليه ينحتم على الأستاذ في العلوم الاجتماعية إحداث قطيعة مع هذه التفسيرات السطحية أو ما أطلق عليه ريمون أرون "الفهم التفكائي" دون إغفال الإشارة في هذا المجال إلى تنوع واختلاف أشكال إدراك الواقع الاجتماعي كالإدراك المبسط والإدراك المعقد والإدراك المجزأ للوقائع الاجتماعية و لتتخلص العلوم الاجتماعية من هذه العوائق التي تقف حاجزا بين ذهن المتلقي والفهم الدقيق لها لأبد من إحداث قطيعة إبستمولوجية حسب تعبير باشلار.

وانطلاقا مما سبق يبين باشلار مفهوم **القطيعة الإبستمولوجية** الذي انتشر بشكل واسع في أوساط العلماء و المفكرين من مختلف التخصصات، و يشير في معناه إلى أن التطور الذي تعرفه المفاهيم و النظريات العلمية، لا يسير وفق مسار خطي، تكمل فيه النظرية أو المعرفة الحالية سابقتها، بل "إن التطور يأخذ معنى أو صيغة قطائع و طفرات كيفية يتغير فيها السؤال و يعاد النظر فيها، في المعلومات و الأدوات و المناهج و النماذج التحليلية أو التجريبية"³⁹، وغير خفي نوع التأثير الذي مارسه هذا التصور على البحث الديدانكتيكي الذي انبرى يبحث عن أشكال الانقطاع أو الاتصال بين الثقافة المشاعة التي يحملها المتعلم و الثقافة العلمية التي ترغب المدرسة في تكوينها لديه.

الخلاصة:

تبقى الإبستمولوجيا بأطروحاتها المختلفة من بين أهم العلوم الذي مارست تأثيرا على البحث الديدانكتيكي و ذلك من خلال استلهاهم مفاهيمها و تكوين أطروحاتها المختلفة. و يأتي هذا الارتباط من كون الباحث الديدانكتيكي يجد نفسه مضطرا حين الحديث على المادة المدرسة لتحليل إبستمولوجي لطبيعة تلك المادة و لنمط تكوينها و تطور مفاهيمها، والنتائج التي توصلت إليها هذه العلوم والظروف التي ظهرت فيها هذه النتائج (النظريات) و قد بلغ الأمر لبعض الباحثين إلى حد القول بأن وظيفة الديدانكتيك في العلوم لا تخرج عن كونها محاولة للانتقال بالمعرفة العالمية *savante* إلى المعرفة الملقنة *enseignée* بكل ما تقتضيه هذه الأخيرة من تنظيم و هيكلية و تصنيف و ترتيب يتماشى و مقتضيات الواقع الدراسي ولا يتسنى ذلك إلا بوعي الذات العالمية بطبيعة العقبات المعرفية ومحاولة تخطيها.

الهوامش:

- ¹ وهو ما أكدته أعمال العديد من الملتقيات التي انعقدت في الجزائر حول علم الاجتماع والتي خرجت بنتيجة كونه في أزمة.
- ² روبير بلانشي، ترجمة محمود اليعقوبي: *نظرية العلم (الإبستمولوجيا)*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ص 09.
- ³ علي حسين كركي: *الإبستمولوجيا في ميدان المعرفة، شبكة المعارف، ط1، بيروت، لبنان، 2010، ص 15.*
- ⁴ محمد وقيدي: *ما هي الإبستمولوجيا، مكتبة المعارف، الرباط، 1987، ص 23.*
- ⁵ حسن عبد الحميد "مقدمة" كتاب، روبير بلانشيه: *نظرية المعرفة العلمية (الإبستمولوجيا)*، ترجمة حسين عبد الحميد، مطبوعات جامعة الكويت، 1987، ص 7،
- ⁶ <http://dr-cheikha.logspot.com>, le 19-05-2011
- ⁷ [Ar.wikipedia.org/wiki/نظرية المعرفة](http://Ar.wikipedia.org/wiki/نظرية_المعرفة) , le : 06-09-2010
- ⁸ علي حسين كركي: مرجع سبق ذكره، ص ص 59،60 .
- ⁹ محمد وقيدي، مرجع سبق ذكره، ص 13
- ¹⁰ يمثل هذا الاتجاه الفلاسفة المنتمون إلى دائرة المعارف العالمية.
- ¹¹ علي حسين كركي، مرجع سبق ذكره، ص 62
- ¹² روبير بلانشيه، مرجع سبق ذكره، ص 10
- ¹³ <http://imadfawzisheueibi.maktoobblog.com/218294>, le : 13-12-2011.
- ¹⁴ محمود زيدان ؛ *نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين* ، ، بيروت 1989، ص 40
- ¹⁵ زكرياء خضر، *ابستمولوجيا العلوم الاجتماعية، مطبعة رياض، دمشق، سوريا، 1988، ص 18*
- ¹⁶ <http://maarouf66.worldpress.com>, le :21-11-2010
- ¹⁷ المرجع نفسه، ص 19
- ¹⁸ علي حسين الجابري، *فلسفة العلوم، دروس في الاسس النظرية وأفاق التطبيق، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 2010، ص 21*
- ¹⁹ علي حسين كركي، مرجع سبق ذكره، 79
- ²⁰ المرجع نفسه، ص 80
- ²¹ رشيد بناني، *من البيداغوجيا إلى الديدأكتيك*، دار الخطابي للنشر، المغرب، 1991، ص 37
- ²² <http://dictionairesensagent.com/didactique/fr-fr/#d%C3%A9finitions> 13-09-2009
- ²³ جابر نصر الدين، *دروس في علم النفس البيداغوجي* سلسلة كتب مخبر المسألة التربوية، منشورات مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، جامعة محمد خيذر بسكرة، الجزائر، 2009، ص ص 13-14

²⁴B. Bouloire, **introduction à la didactique**,

dans :www.urfist.cict.fr/introdi1.htm , le :14-12-2007

²⁵La combe Daniel, **Didactique**, encyclopediuniversalis, 3.0, France, 1997

²⁶جابر نصر الدين، مرجع سبق ذكره، ص 11

²⁷إبراهيم حروش، **التعليمية، موضوعها ومفاهيمها والأفاق التي تفتحها**، المجلة الجزائرية

للتربية، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، العدد 2، 1995، ص 64

²⁸<http://dictionnairesensagent.com/didactique/fr-fr/#définitions> 13-09-2009

²⁹رشيد بناني، مرجع سبق ذكره، ص 39

³⁰محمد الدريج، **التدريس الهادف**، مساهمة في التأسيس العلمي لنموذج التدريس بالأهداف

التربوية، جامعة محمد الخامس للآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، 2000، ص 28

³¹لمزيد من التفصيل حول هذه العلاقة يمكن الرجوع إلى: نور الدين زمام، **نظرية المعرفة**

وتعليم وتعلم علم الاجتماع، في: "مجلة التربية" مجلة علمية محكمة للبحوث التربوية والنفسية والاجتماعية، كلية التربية، جامعة الأزهر، مصر، العدد 132، الجزء الثاني، أفريل، 2007، ص 291-275.

³²المرجع نفسه، ص 280

³³تساهم المعرفة اللاعلمية المسبقة في ذهن الطالب في إعاقة عملية التعلم بما تشكله من

معلومات خاطئة يمكن أن توجه المسار التعليمي للطالب خاصة في العلوم الاجتماعية وجهة لاعلمية، فهذه المعرفة يمكن أن تمنحه تصورا خاطئا عن مضامين هذه العلوم والهدف منها

وكيفية الاستفادة منها علميا وعمليا، لمزيد من التفاصيل الرجوع إلى:

Zemmam Nour- éddine, Djaber Malika : PREPARATION PARTICULIERE DE LA SITUATION D'APPRETISSAGE EN SOCIOLOGIE, Le IIème séminaire nationale sur la pédagogie , Université Mohamed Kheider- Biskra. Octobre 2004

³⁴غاستونباشارل، **تكوين العقل العلمي**، مساهمة في التحليل النفساني للمعرفة الموضوعية،

ترجمة خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، 1982، ص 13.

³⁵Gaston Bachelard, **La formation de l'esprit scientifique**, dans : Madeleine

Grawitz, **Méthode des sciences sociales**, Ed Dalloz, Paris, 5eme édition, 1981, p

98

³⁶<http://site.voila.fr/omarkhayri/omarkhayri2/5.htm>, le : 10-01-2010.